يشترطُ عليه الخدمة!!

كان الصالحون يشترطون على أصحابهم في السفر أن يخدموهم اغتنامًا للأجر، يقول مجاهد بن جبر: «صَحِبْتُ ابْنَ عُمَرَ لِأَخْدُمَهُ، فَكَانَ يَخْدُمُنِي»[1].

مع طول الرِّفقة، نحتاج أنْ نخدم بعضنا ونُناول بعضنا المتاع، وهنا الناس عامة والمجاهدون خاصة قسمان:

الأول: كبارُ الخُلق، يرون خدمةَ إخوانهم عبادةٌ لله، ويُنظِّفون على أنفسهم، ولا يُرهقون إخوانهم بكثرة طلباتهم، وقد رأيتُ كثيراً من القادة يكنس القمامة بيده، ويمسح الحمام ويُنظِّفه، فجزاه الله خيراً من مُعلمٍ وقائد.

الثاني: يرى لنفسه فضلاً على إخوانه ورُتبةً عليهم، فيُكثر من الطلبات، ويُرهق صغيرهم وكبيرهم، ويريد أن يكون دائماً مخدوماً، ينام ملءَ عينه على أفضل الفرشات والوسائد، ولا يكترث لغيره، وهذا والله تنقصه تربيةٌ على التواضع، وما أجمل ما قاله يَحْيَى بن مَعِيْنٍ: «مَا رَأَيْتُ مِثْلَ الإمام أَحْمَدَ، صَحِبنَاهُ خَمْسِيْنَ سَنَةً، مَا افتَخَرَ عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ فِيْهِ مِنَ الخَيرِ»[2].

وتأمَّل وتدبَّر في هذه الآثار النافعة للقلب، ففيها نفعٌ وبركة: عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيِّ بْنِ رَبَاحٍ عَنْ أَبِيهِ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عَلَى الرَّجُلِ الَّذِي يَرَاهُ يَخْدُمُ أَصْحَابَهُ»[3]، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُم»[4]، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: «مَنْ خَدَمَ أَصْحَابَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ فُضِّل عَلَى كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِقِيرَاطٍ مِنَ الْأَجْرِ»[5]،

(1) الجهاد لابن المبارك، ص 208.
(2) سير أعلام النبلاء (214/11).
(3) الجهاد لابن المبارك، ص 206.
(4) آداب الصحبة، لأبي عبد الرحمن السلمي، ص 117.
(5) الجهاد لابن المبارك، ص 211.